الفصل الثاني

نظريات ونماذج التفوق العقلي

الفصل الثاني
نظريات ونماذج التفوق العقلي

أدى تباين وجهات النظر حول مفهوم التفوق العقلي؛ واختلاف رؤى العلماء والباحثين إلى ظهور مجموعة من النظريات والنماذج التي تقدم تفسيرات متباينة للتفوق، وفيما يلي عرض لهذه النظريات والنماذج على الوجه التالي:

أ- نظرية الذكاءات المتعددة:

ترجع أصول نظرية الذكاءات المتعددة التي قدمها هاوارد جاردنر Gardener (١٩٨٣) إلى بداية حركة القياس النفسي التي حدثت في بداية القرن العشرين، فقد قدم جاردنر في هذه النظرية عدداً من الذكاءات المستقلة، التي ترتبط ببعضها البعض، وتختلف قيمة هذه الذكاءات من مجتمع لآخر، وقد لقيت هذه النظرية قبولاً ملحوظاً لدى الأوساط التربوية حيث أنه من غير المقبول أن نعتمد على نسبة الذكاء فقط في تربية ورعاية المتفوقين في القرن الحادي والعشرين، وتضم هذه النظرية عدداً من الذكاءات هي كما يلي:

١- **الذكاء اللغوي Linguistic Intelligence:** ويتمثل في إستخدام اللغة بصورة جيدة، وسهولة إستخدام الكلمات، وفهم قواعد اللغة.

٢- **الذكاء الموسيقي Musical Intelligence:** ويتمثل في القدرة على الاستماع الجيد للموسيقى، والحساسية للأصوات، وتمييز طبقات الصوت والنغمات وتذكرها.

٣- **الذكاء الرياضي المنطقي Logical-Mathematical Intelligence:** ويتمثل في القدرة على التفكير الإستدلالي والإستنباطي، وتناول المفاهيم المجردة، والتعامل مع الرموز.

٤- **الذكاء الجسمي الحركي Bodily-kinesthetic Intelligence:** ويتمثل في إستخدام الحركات الكبرى للجسم وكذلك الحركات الدقيقة مثل إستخدامها في الألعاب الرياضية أو الفنون الأدائية.

٥- **الذكاء الشخصي Intrapersonal Intelligence:** ويتمثل في قدرة الفرد على فهم إمكاناته وقدراته ومعرفة حدودها، ووعي الفرد بذاته وما الذي يجب أن يسعى إليه وما يجب عليه أن يتجنبه.

٦- **الذكاء البين شخصي (الاجتماعي) Interpersonal Intelligence:** ويتمثل في قدرة الفرد على فهم الآخرين، ومعرفة أهدافهم وفهم دوافعهم ومشاعرهم والتصرف بناءً على ذلك.

٧- **الذكاء البصري المكاني Visual-Spatial Intelligence:** ويتمثل في القدرة على التمثيل البصري المكاني للعالم.

٨- **الذكاء الطبيعي Naturalistic Intelligence:** ويتمثل في القدرة على إدراك الكائنات الحية، ومعرفة العلاقات بينها، والإهتمام بالبيئة العامة والأرض وغيرها من الظواهر الطبيعية.

٩- **الذكاء الوجودي Existential Intelligence:** ويتمثل في التعمق في القضايا التي ترتبط بمصير الإنسان مثل قضايا الوجود الإنساني، ومعنى الحياة، ومعنى الموت وغيرها من القضايا الإنسانية الأخرى.

وتقوم نظرية الذكاءات المتعددة كما أشار إلى ذلك فيلدمان Feldman (٢٠٠٣) على عدة أسس هي كما يلي:

١- **أن كل فرد يمتلك الذكاءات المتعددة التي تتضمنها النظرية؛** فهي ليست نظرية نوعية تركز على أحد أنواع الذكاء، ولكنها نظرية في التوظيف المعرفي، ترى أن كل فرد يملك هذه الذكاءات، وانه بمقدوره أن يوظفها بطريقة ملائمة، وقد يظهر بعض الأفراد مستويات مرتفعة من التوظيف في كل هذه الذكاءات أو في بعضها.

٢- **أن كل الأفراد لديهم القدرة على تنمية ذكاءاتهم المتعددة والوصول بها إلى مستوى ملائم من الكفاءة؛** حيث يعتقد بعض الأفراد أن أوجه القصور المختلفة التي يواجهونها تُعد مشكلة لا يمكن التخلص منها، إلا أن جاردنر يرى أن كل فرد يستطيع تنمية ذكاءاته المتعددة إلى مستوى ملائم إذا أعطى التشجيع الملائم، والتعليم المناسب الذي ينمي هذه الذكاءات.

٣- **تعمل هذه الذكاءات معاً بطريقة مركبة؛** حيث يرى جاردنر أن الذكاءات المتعددة التي تم ذكرها لا توجد بمفردها في الحياة "إلا في بعض الحالات النادرة مثل الأفراد المصابين بالإصابات المخية"، وأن هذه الذكاءات تتفاعل عادة مع بعضها لدى الأفراد.

٤- **توجد عدة طرق تجعل كل فرد يحرز مستوى ملائم من الكفاءة في كل ذكاء من هذه الذكاءات**؛ يذكر جاردنر أنه لا يوجد معيار يؤكد على أن كل فرد يجب أن يكون على قدر من الذكاء في كل جانب نوعي، فالشخص قد يكون عنيفاً في مجال اللعب، ولكنه قد يستفيد من هذا الذكاء الحركي عندما يقوم بنسج سجادة، لذلك فهذه النظرية ترى أن الاختلافات في هذه الطرق لدى الأفراد تظهر تفوقهم داخل هذه الذكاءات.

ب- النموذج النفسي الإجتماعي:

أعد هذا النموذج أبراهام تاننبوم Abraham Tannenbaum عام ١٩٨٣ ويؤكد من خلاله على أن الموهبة كأداء لا تتطور إلا عند المراهقين والراشدين فقط، مما يعني من جانب آخر أنها لا تتطور عند الأطفال حيث يكون لديهم ما يعرف بالموهبة كإستعداد فطري، ومن هذا المنطلق يشير إلى أن الموهبة تبدأ كإستعداد فطري عند الطفل لا يلبس أن يتطور إلى مهارة في الأداء تحت تأثير عدد من العوامل. ويضم هذا النموذج أربع مواهب هي كما يلي:

١- **المواهب النادرة:** وتشير إلى المواهب التي تظهر لدى الأفراد الذين يحققون تقدماً مذهلاً في المعرفة أو التقنية مما قد يجعل حياتهم وحياة غيرهم سواء في مجتمعهم أو غيره من المجتمعات أكثر أمناً، وأكثر رفاهية.

٢- **المواهب الفائضة:** وتتوفر مثل هذه المواهب لدى أولئك الأفراد الذين يحاولون دوماً أن يضيفوا إلى جمال البيئة، وتعتبر تلك المواهب بالتالي قيم نادرة تظهر من خلال إنتاج متميز من جانب الفرد في الفنون أو الآداب.

٣- **المواهب النسبية:** وهي تلك المهارات أو القدرات التي تبدو لدى بعض الأفراد وترتبط بالبضائع، والتجارة والخدمات المختلفة التي تمثلها مهن الخدمات كالطب والتمريض، وتعتمد هذه المواهب على وجود مهارات عالية المستوى لدى أولئك الأفراد حتى يتمكنوا بموجبها من تحقيق تلك الإضافة التي يشهدها مثل هذا المجال الذي يبرزون فيه.

٤- **المواهب الإستثنائية:** وهي تلك المهارات التي توجد في المجال العملي والتي قد لا يجد أصحابها إهتماماً حقيقياً بها، وتوازي تلك المهارات في الأساس القدرات النوعية المختلفة.

ويذكرتاننبوم Tannenbaum أن هناك خمسة عوامل نفسية واجتماعية مسئولة عن التفوق هي: الذكاء المرتفع، والإستعداد الخاص غير العادي، والتنظيم الداعم من السمات غير العقلية، والبيئة الداعمة، والصدفة أو الحظ، وهذه العوامل الخمسة تتفاعل مع بعضها البعض لتنتج التفوق (Kaufman & Sternberg, 2008).

ج- النموذج الثلاثي لروبرت شيترنبيرج:

يطلق على هذه النظرية نظرية الذكاء الثلاثي لشتيرنبيرج Sternberg (١٩٨٥)، والذي يؤكد فيها على وجود ثلاثة أنواع من الذكاء هي: **الذكاء التكويني** Componential Intelligence وهو ذو قيمة كبيرة في المدرسة، ويشير إلى التلاميذ الذين يحصلون على درجات مرتفعة على الإختبارات، **والذكاء التجريبي** Experimental Intelligence؛ وهو يشير إلى الأشخاص المبتكرين الذين لا يحصلون بالضرورة على درجات مرتفعة في الاختبارات، **والذكاء السياقي** Contextual Intelligence؛ وهو يصف الأشخاص الذين لديهم ذكاء عملي Practical Intelligence.

ويذكر شتيرنبيرج في نظريته أن هناك صيغ مختلفة للذكاء هي الذكاء الأكاديمي، والذكاء العملي، والذكاء الإبتكاري، وكل صيغة من هذه الصيغ لها نفس القيمة داخل هذا النموذج، فالذكاء الأكاديمي يتشابه مع نسبة الذكاء، بينما لا يقع الذكاء العقلي والإبتكاري ضمن نسبة الذكاء، حيث يرتبط الذكاء العملي بقدرات الفرد التي تمكنه من فهم المحيط الذي يعيش فيه، ويساعده على أن يفسر المواقف الإجتماعية والشخصية المختلفة، كما أنه يمكن الفرد من استخدام الاستراتيجيات التي تساعده على النجاح في المواقف الحقيقية، أما الذكاء الإبتكاري فيهدف إلى إحداث تغيير في الأشياء الراسخة المرتبطة بالعالم من أجل حل المشكلات الحقيقية، كما يزيد هذا الذكاء من خبرة الفرد، ويتمثل هذا النوع من الذكاء في التفكير التباعدي، وبعض الأنشطة المختلفة مثل التلحين والموسيقى، وتصميم المباني، وإتباع المعلومات وتفسيرها، والفنون البصرية.

وبصفة عامة تؤكد هذه النظرية كما أشار إلى ذلك كوير Coyer (٢٠٠٤) على ثلاث نقاط على النحو التالي:

١- لا يمكن فهم الذكاء خارج السياق الاجتماعي – الثقافي، فالشخص المتفوق في ثقافة أو بيئة ما، قد لا يكون هكذا في ثقافة أو بيئة أخرى.

٢- أن الذكاء يتضمن الفائدة، وتوجيه الهدف، والسلوكيات التي ترتبط بالقدرة على التعلم من الخبرة.

٣- الذكاء يعتمد على مهارات معالجة المعلومات والاستراتيجيات.

د- نموذج الحلقات الثلاث لرينزوللي:

يذكر رينزوللي (١٩٨٦) أن التفاعل بين القدرة فوق المتوسطة، والالتزام بالمهمة، والإبتكارية ينتج عنه التفوق، وقد نصح بأن يولي التربويون إهتماماً بهذه المكونات الثلاثة أثناء تقييم التفوق. وأشار إلى أن التلاميذ الذين لديهم قدرة فوق المتوسطة يمثلون حوالي ١٥ – ٢٠% من جملة التلاميذ في سن المدرسة، وأن هذه القدرة قد تكون قدرة عامة يقصد بها معالجة المعلومات وتكامل الخبرات التي ينتج عنها إستجابة ملائمة في المواقف الجديدة، والتفكير المجرد، أو قد تكون قدرة خاصة يقصد بها القدرة على إكتساب المعارف، وأداء واحدة أو أكثر من جوانب الأنشطة الخاصة (مثل الكيمياء، والتصوير .. الخ)، وكل قدرة خاصة يمكن أن تقسم إلى جوانب نوعية مثل (الكيمياء النووية، والكيمياء العضوية .. الخ).

وأشار رينزوللي إلى أن الإلتزام بالمهمة لا يكافئ الدافعية، حيث يقصد بالإلتزام بالمهمة الطاقة اللازمة لإحتمال المهمة، أو جانب الأداء الخاص، وتمثل الابتكارية الحلقة الثالثة والأخيرة من التفوق (Ford, 1996).

وقد عدل مونكس Monks عام ١٩٩٢ نموذج الحلقات الثلاث لرينزوللي وأضاف إليه بعض العوامل البيئية التي يرى أنها مسئولة عن التفوق مثل العوامل المدرسية، والأسرية، وجماعة الأقران، إضافة إلى العوامل التي تضمنها نموذج رينزوللي وهي الدافعية، والإبتكارية، والقدرة فوق المتوسطة (Kaufman & Sternberg, 2007).

هـ- نموذج فرانسوا جانيه الفارق:

يؤكد نموذج جانيه Gagne (١٩٩١) في التفوق على عمليات نمو الموهبة، فقد لاحظ جانيه أن مصطلح متفوق وموهوب يستخدمان بالتبادل في مجال العمل التربوي مع المتفوقين، لذلك وضع نموذجه الفارق بين التفوق والموهبة ليوضح الفرق بين هذين المصطلحين، والهدف الرئيسي لهذا النموذج هو إظهار أهمية التأثيرات البيئية مثل (المنزل، والمدرسة، والآباء، والأنشطة .. الخ)، والمتغيرات غير العقلية مثل (الدافعية، والحالة المزاجية .. الخ)، والممارسة والتدريب التعليمي، ودورها الرئيسي في تحويل

الإستعداد الوراثي "التفوق" مثل (الذكاء، والابتكارية .. الخ) إلى مواهب خاصة في (اللغة، والعلوم، والرياضيات، والفنون، والموسيقى، والقيادة .. الخ) (Kaufman & Sternberg, 2008).

و- نموذج فيلدمان:

قدم دافيد هنري فيلدمان David Henry Feldman عام ١٩٩٢؛ نموذجه عن كيفية نمو المواهب لدى الصغار وطبقاً لما ذكره فيلدمان توجد سبعة عوامل مسئولة عن نمو التفوق هي: العمليات المعرفية، والعمليات الاجتماعية – الوجدانية، والجوانب الأسرية مثل (الترتيب الميلادي، وقيمة النوع داخل الأسرة .. الخ)، والتربية والإعداد الرسمي وغير الرسمي، وخصائص المجال، وجوانب السياق الاجتماعي الثقافي، والقوة التاريخية والأحداث والإتجاهات (Kaufman & Sternberg, 2008).